الخطبة الثانية عشرة: مأساة العقوق.

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِل له، ومن يضلل فـلا هـادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديثِ كِتاب اللهِ، وأحسن الهدي هدي محمـدٍ، وشـر الأمورِ محدثاتها، وكُل محدثةٍ بِدعةٌ، وكُل بِدعةٍ ضلالةٌ، وكُل ضلالةٍ فِي النارِ.

مقدمة:

إن للوالدين حقاً عظيماً، وفضلاً بعد فضل الله جليلاً كريماً

فإذا ذكرتهما ذكرت البر والإحسان

وإذا ذكرتهما أسعفتك بالدموع العينان

مضت أيامهما وانقضى شبابهما وبدا لك مشيبهما.

وقفا على عتبة الدنيا، وهما ينتظران منك قلباً رقيقاً وبراً عظيماً .

فالجنة لمن برهما، والنار لمن عقهما.

فطوبى لمن أحسن إليهما ولم يسيء لهما.

طوبى لمن أكرمهما ولم يهنهما.

طوبى لمن نظر إليهما نظرة رحمة وود وإحسان.

وتذكر ما كان منهما من بر وعطف وحنان.

تأمل صغرك وضعفك حال طفولتك، تذكر معاناة أمك منك،

وذلك حينما جعلت بطنها لك وعاءً ، ودمها لك غذاءً.

تأمل حملها لك في بطنها تسعة أشهر تحمل معها الآلام والزفرات.

فكل شيء لديها يهون إذا رأتك صحيحاً سليماً.

ووالله إنها لترى الموت بعينها، وتذوق من الآلام ما يود المرء أن يكون معه نسياً منسياً، ولكنها بعاطفتها الجياشة آثرت صحتك علـى صـحتها، ونجاتـك بهلاكها.

إنها عند رؤيتك تنسى جميع الهموم والآلام، وتعلق عليك بعد الله كل الآمال.

واقع مرير:

ومع ذلك كله نعيش زماناً عظمت غربته، واشتدت كربته، فلـم يـرحم الأبناء دموع الآباء، ولم يرحم البنات شفقة الأمهات.

فنرى على صفحات جرائدنا اليومية ولداً يقتل أباه وآخر يضرب أمه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فهذا ولد يضع أمه في دار المسنين ولم يزرها حتى تردت حالتها، فطلبت من مسؤول الدار أن يتصل؛ كي تراه وتقبله قبل أن تموت وتفـارق الـدنيا فاتـصل بولدها، فسبقتها دموعها قبل أن تسمع جواب ولدها بالرفض والاعتـذار بـضيق الوقت وكثرة الأعمال والأشغال،

فلما توفيت الأم اتصلوا به ليخبروه فقال: أكملـوا إجـراءتكم الرسميـة، وادفنوها في قبرها لأني مشغول ، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذا آخر كانت تعيش أمه معه في البيت فلما ضجر منها أخذها ذات يوم معه في السيارة وذهب بها إلى شاطيء البحر، ووضعها هنالك،وقال لها بأنه سـيأتي بعد فترة وجيزة، وأعطاها ورقة صغيرة وقال لها: انتظري حـتى آتيـك. فظلـت المسكينة تمنى نفسها برجوع فلذة كبدها.

وظلت تنتظره حتى جناها الظلام وأرخى عليها الليل سدوله، وهي وحيدة ليس لها أحد، وأخذ الناس يرحلون عن ذلك المكان، فجاءها رجل وقد اسـتغرب بقاءها وحدها في هذا المكان، فسألها عن شأنها وعن جلوسـها في هـذا المكـان وحدها؟ .

فقالت له القصة وقرأ الورقة فإذا فيها: يرجى ممن يقرأ هذه الورقة أخذ هذه العجوز إلى دار العجزة.

نعوذ بالله من العقوق والحرمان

ما هو جزاء العقوق ؟

(١) عقوق الوالدين من أكبر الكبائر:

عن عبدِ الرحمنِ بنِ أَبِي بكْرةَ ﷺ عن أَبيهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ:" **أَلا أُنبئُكُم بِأَكْبرِ الْكَبائِرِ؟**" قُلْنا: بلَى يا رسولَ اللهِ. **قَالَ: "الْإِشراك بِاللهِ، وعقُوق الْوالِدين،** وكَانَ متكِئًا فَجلَس فَقَالَ: **"أَلا وقَولُ الزورِ وشهادةُ الزورِ، أَلا وقَولُ الزورِ وشهادةُ الزورِ**"، فَما زالَ يقُولُها حتى قُلْت: لَا يسكت" [1]

(٢)وخاصة عقوق الأم:

إن العقوق في الجملة من الكبائر، ولكن خص الله الأم؛ لتعبـها وتحملـها، فعقوق الأم أشد إثما؛ وذلك لأن الأم ضعيفة، وأذى الضعفاء إثمه شديد وعقوبتـه أغلظ، فكما في الصحيحين من حديث الْمغِيرةِ بنِ شعبةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النبـي ﷺ:" **إِن الله حرم علَيكُم عقُوق الْأُمهاتِ، ووأْد الْبناتِ، ومنع وهاتِ، وكَره لَكُم قِيلَ وقَالَ، وكَثْرةَ السؤالِ، وإِضاعةَ الْمالِ**" [٢].

(٣)العقوق لا يقبل معه أي عمل:

عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **ثلاثة لا يقبل الله عز وجـل منهم صرفا ولا عدلا: عاق، و منان، ومكذب بقدر**"[٣].

1- البخاري (٥٦٣٩) ، مسلم (١٥١)

2- البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٥٩٣)، ومعنى(ومنَع وهاتِ) أنه نهى أن يمنع الرجل ما توجه عليـه من الحقوق أو يطلب ما لا يستحقه.

3- صحيح الترغيب والترهيب (٢٥١٣)

(٤)العاق ملعون:

كما في الأدب المفرد من حديث على ﷺ أن رسول اللهﷺ قال: "**لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من سرق منار الأرض، لعن الله من لعن والديه. لعـن الله من آوى**[١] **محدثا**" [٢].

(٥)الجزاء من جنس العمل:

قال الأصمعي: حدثني رجل من الأعراب قال: خرجت من الحي أطلب أعق الناس وأبر الناس، حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل يستسقي بدلو لا تطيقه الإبـل في الهاجرة والحر شديد، وخلفه شاب في يده رشاء من قد [٣] ملوي يضربه به.

فقلت: أما تتقي الله في هذا الضعيف؟!

فقال :إنه مع هذا أبي.

فقلت: فلا جزاك الله خيراً .

فقال: اسكت فهكذا كان يصنع بأبيه، وهكذا كان يصنع أبوه بجده [٤].

ويسرد لنا الشيخ محمد بن حسان (حفظه الله) : أن ابنا من الأبناء يكـبر والده ، فتشمئز زوجته من والد زوجها، وتقول لزوجها: جنب والدك؛ فإن الأبناء يشمئزون منه، ففعل الولد.

1- ومعنى آوى محدثاً أي نصر صاحب بدعة أو أعانه؛ لأن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وخير الهدي هدي محمد. وقال الإمام مالك: من ابتدع بدعة وظن أنها حسنة فقد اتهم أبا القاسم بخيانة الأمانة .

2- الأدب المفرد (١٧) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد (١/صـ٨)

3- القد : السوط ، وهو في الأصل سير يقد أي يقطع من جلد مدبوغ .

4- انظر موسوعة نضرة النعيم (٥٠١٩/١٠) والرشاء هو الحبل.

فقال له ابن له صغير – وهو يحب جده – لما تصنع ذلك بجدي يا أبي؟

قال: حتى لا تشمئزوا منه.

فبكى الولد الصغير والتفت إلى والده وقال له: حسناً يا أبي سوف أصـنع بك ذلك حين أكبر كما صنعت بجدي.

وابن آخر يجر أباه بقدميه ورجليه يطرده خارج شقته، فبكى الوالد حينمـا وصل إلى الباب وقال للولد: إلى الباب فقط يا بني.

ثم بكى وقال: فوالله ما جررت أبي منذ كذا من السنين وأنا أطرده من بيتي، إلا إلى الباب فقط فاكتف بالباب فقط؛ فإنما هو دين أقضيه [1].

(٦) احذروا دعاء الوالدين:

عن النبيﷺ قال: "**كل الذنوبِ يؤخر اللهُ منها ما شاء إلى يومِ القيامـةِ، إلا البغى وعقوق الوالدين، أو قطيعةَ الرحمِ، يعجلُ لصاحِبها** في **الدنيا قبلَ الموتِ**" [2]

وعن أَبِي هريرة َ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "**ثَلَاثُ دعواتٍ مستجابات لَا شك فِيهن: دعوةُ الْمظْلُومِ، ودعوةُ الْمسافِرِ، ودعوةُ الْوالِدِ على ولَدِهِ**" [3]

قصة مؤثرة عن دعاء الوالدين:

1- الحقوق الإسلامية (٥٦٣، ٥٦٤)، باختصار بسيط، دار: فياض .

2- الأدب المفرد باب البغـي (٥٩١)، وصـححه الـشيخ الألبـاني فـي صـحيح الأدب المفـرد (١/صـ٢٣٤) .

3- الترمذي (١٨٢٨) وأبو داوود (١٣١٣) وابن ماجه (٣٨٥٢) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٨٦٢) .

عن الحسن بن علي ﷺ قال: بينا أنا أطوف مع أبي حول البيـت في ليلـة ظلماء و قد رقدت العيون و هدأت الأصوات، إذ سمع أبي هاتفاً يهتـف بـصوت حزين شجي (يناجي الله عز و جل يدعو) وهو يقول:

يا من يجيب دعا المُضطر في الظُلَمِ

يا كاشف الضر و البلوى مع السقمِ

قد نام وفْدك حول البيت و انتبهوا

و أنت عينك يا قيوم لم تنـ ـ ـمِ

هب لي بجودك فضل العفو عن جرمي

يا من إليه أشار الخلق في الحـرمِ

إن كان عفوك لا يدركه ذو سرفٍ

فمن يجود على العاصين بالكـرمِ

قال: فقال أبي: يا بني أما تسمع صوت النادب لذنبه المستقيل لربه؟ الحقـه فلعل أن تأتيني به، فخرجت أسعى حول البيت أطلبه فلم أجده حتى انتـهيت إلى المقام و إذا هو قائم يصلي، فقلت: أجب ابن عم رسـول الله -ﷺ- فـأوجز في صلاته و اتبعني، فأتيت أبي فقلت: هذا الرجل يا أبت، فقال له أبي: ممن الرجـل؟ قال: من العرب، قال: و ما اسمك؟ قال: منازل بن لاحق، قال: و ما شأنك و مـا قصتك؟ قال: و ما قصة من أسلمته ذنوبه و أوبقته عيوبه فهـو مـرتطم في بحـر الخطايا، فقال له أبي على ذلك فاشرح لي خبرك. قال: كنت شاباً علـى اللـهو و الطرب لا أفيق عنه، و كان لي والد يعظني كثيراً و يقول: يا بني احـذر هفـوات الشباب و عثراته فإن لله سطوات و نقمات ما هي من الظالمين ببعيد، و كـان إذا

ألح علي بالموعظة ألححت عليه بالضرب، فلما كان يوماً من الأيام ألح علي بالموعظة فأوجعته ضرباً، فحلف بالله مجتهداً ليأتين بيت الله الحرام فيتعلق بأستار الكعبـة و يدعو علي ، فخرج (مسافراً) حتى انتهى إلى البيت فتعلق بأستار الكعبـة و أنـشأ يقول:

يا من إليه أتى الحُجاج قد قطعوا عرض المَهامِه من قُربٍ و مـن بعدِ

إني أتيتك يا من لا يخيب من يد عوه مبتهلاً بالواحد الصمـــدِ

هذا منازِل لا يرتد عن عقَقِـي فخذ بحقي يا رحمن من ولـــدي

وشل منه بحولٍ منك جانبه يا من تقـدس لم يولَد و لم يلـــدِ

قال: فوالله ما استتم كلامه حتى نزل بي ما ترى، ثم كشف عن شقه الأيمن فإذا هو يابس (صار الولد مشلولاً شللاً نصفياً)، قال: فأُبت و رجعـت و لم أزل أترضاه و أخضع له و أسأله العفو عني إلى أن أجابني أن يدعو لي في المكان الـذي دعا علي، قال: فحملته على ناقة عشراء و خرجت أقفو أثره حتى إذا صرنا بوادي الأراك طار طائر من شجرة فنفرت الناقة (الناقة التي تحمل أباه) فرمت بـه بـين أحجار فرضخت رأسه فمات (هذا في الطريق قبل أن يصل إلى البيت الحرام) فدفنته هناك و أقبلت آيساً و أعظم ما بي ما ألقاه من التعيير أني لا أعرف إلّـا بالمـأخوذ بعقوق والديه، فقال له أبي: أبشر فقد أتاك الغوث، فصلى ركعتين ثم أمره فكشف عن شِقِه بيده و دعا له مرات يرددهن فعاد صحيحاً كما كان، و قال له أبي: لولا أنه قد كان سِقْت إليك من أبيك في الدعاء لك بحيث دعا عليك لما دعوت لـك.

قال الحسن: و كان أبي يقول لنا: احذروا دعاء الوالدين فإن في دعائهما النمـاء و الإنجبار و الإستئصال و البوار. [1]

(٧) شؤم العقوق (قصة مؤثرة):

عن مالك بن دينار قال: بينما أنا أطوف بالبيت الحرام إذ أعجبني كثـرة الحجاج والمعتمرين، فقلت: ليت شعري من المقبول منهم فأهنئه، ومن المردود منهم فأعزيه.

فلما كان الليل رأيت في منامي قائلاً يقول: مالك بن دينار يـسأل عـن الحجاج والمعتمرين؟ قد غفر الله لهم أجمعين، الصغير والكـبير، الـذكر والأنثـى، الأسود والأحمر، إلا رجلاً واحداً فإن الله تعالى عليه غضبان، وقد رد الله حجـه، وضرب به في وجهه.

قال مالك: فنمت بليلة لا يعلمها إلا الله عز وجل وخشيت أن أكون ذلك الرجل، فلما كانت الليلة الثانية، رأيت في منامي مثل ذلك، غير أنه قيل لي: ولست أنت ذلك الرجل، بل هو من خراسان من مدينة بلخ، يقال له: محمد بن هـارون البلخي.

فلما أصبحت أتيت قبائل خراسان، فقلت: أفيكم محمد بن هارون؟ قالوا: بخ بخ، تسأل عن رجل ليس بخراسان أعبد ولا أزهد منه ولا أقرأ منه.

فعجبت من جميل ثناء الناس عليه وما رأيت في منامي. فقلت: أرشـدوني إليه. قالوا: إنه منذ أربعين سنة يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يأوي إلا الخـراب، ونظنه في خرائب مكة.

1- طبقات الشافعية للسبكي(٣٢٨/٢)، دار هجر، تحقيق: محمود الطناحي

فجعلت أجول في الخرابات، فإذا هو قائم خلف جدار، وإذا يده اليمنى معلقـة في عنقه وقد شدها بقيدين عظيمين إلى قدميه، وهو راكع وساجد. فلما أحس بهمس قدمي، قال: من تكون؟ قلت: مالك بن دينار، قال: يا مالك ما جاء بـك إلي؟ إن كنت رأيت رؤيا فاقصصها علي. قال: أستحي أن أقولها. قال: بل قل.

فقصصتها عليه، فبكى طويلاً، وقال: كنت رجلاً أكثر شـرب المـسكر، فشربت يوماً عند خدن [1] لي حتى ثملت وزال عقلي، فأتيت منزلي فدخلت، فـإذا بأمي توقد تنوراً لنا، فلما رأتني أتمايل بسكري، أقبلت تطعمني، وتقول: هذا آخـر يوم من شعبان وأول ليلة من رمضان، يصبح الناس صواماً، وتصبح سكران!! أمـا تستحي من الله؟ فرفعت يدي فلكزتها. فقالت: تعست. فغضبت لقولها وحملتـها بسكري ورميت بها في التنور فلما رأتني امرأتي، أدخلتني بيتاً وأغلقت علي.

فلما كان آخر الليل وذهب سكري، دعوت زوجتي لفتح الباب، فأجابتني بجواب فيه جفاء، فقلت: ويحك ما هذا الجفاء؟ قالت: تستأهل ألا أرحمك. قلـت: لم؟ قالت: قتلت أمك، رميت بها في التنور فاحترقت.

فخرجت إلى التنور فإذا هي كالرغيف المحروق. فخرجت وتصدقت بمالي، وأعتقت ، وأنا منذ أربعين سنة أصوم النهار وأقوم الليل، وأحج كل سنة، ويـرى لي كل سنة عابد مثلك هذه الرؤيا.

فنفضت يدي في وجهه، وقلت: يا مشؤوم، كدت تحرق الأرض وما عليها بنارك، وغبت عنه بحيث أسمع حسه ولا أرى شخصه فرفع يديه إلى السماء، وقال:

1- أي : صاحب

يا فارج الهم وكاشف الغم، يجيب دعوة المضطرين، أعوذ برضاك من سـخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، لا تقطع رجائي، و لا تخيب دعائي.

فذهبت إلى منزلي ونمت، فرأيت في المنام قائلاً يقول: يا مالك لا تقنط الناس من رحمة الله. إن الله اطلع من الملأ الأعلى إلى محمد بن هارون فاستجاب دعوتـه، وأقال عثرته، عد إليه وقل له: إن الله يجمع الخلائق يوم القيامة، ويقتص للجماء من القرناء، ويجمع بينك وبين والدتك، فيحكم لها عليك، ويذيقك النـار، ثم يهبـك لأمك[1].

ما هو العقوق؟

هو صدور كل ما يتأذى به الوالد من ولده من قول أو فعل، إلا في إشراك أو في معصية ما لم يتعنت الوالد[2].

صور من العقوق المحرمة (بعض مظاهر العقوق):

قد يظن بعض الناس أن العقوق يتمثل في ضرب الوالدين أو شتمهما فقط، ولكن هناك صور عديدة من العقوق، نذكر منها ما استطعنا حتى نتجنبه:

(١) الغلظة معهما في القول والفعل:

قـــال تعـــالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء:٢٣]

1- بر الوالدين لابن الجوزي، وذم المسكر لابن أبي الدنيا رقم (٦٠)دار: الراية بالرياض

2- موسوعة نضرة النعيم (٥٠١٢/١٠)

قال ابن كثير: يقول تعالى آمراً بعبادته وحده لا شريك له ، فإن القـضاء ههنا بمعنى الأمر ، قال مجاهد [وقضى] أي أمر ،(وبالوالدين إحـساناً) أي وأمـر بالوالدين إحساناً ، كقوله في الآية الأخرى ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾. وقوله:

﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ ﴾ أي لا تـسمعهما قولاً سيئاً حتى ولا التأفيف، الـذي هـو أدنى مراتـب القـول الـسيء ﴿وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا ﴾أي: ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح ، كما قال عطاء بن رباح في قوله: ﴿وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا ﴾ أي: لا تنفض يدك عليهما، ولما نهاه عن القول القبـيح والفعـل القبيح، أمره بالقول والفعل الحسن، فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴾ أي ليناً طيباً حسناً بتأدب وتوقير وتعظيم، ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ أي تواضع لهما بفعلك ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ أي في كبرهما وعند وفاتهما [1]

(٢) أن يحزنهما :

وذلك لما ورد عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو (رضي الله عنهما) أن رجلًا أتى النبي ﷺ فَقَالَ: إني جِئْت أُبايِعك علَى الْهجرةِ ولَقَد تركْت أبوي يبكِيان قَالَ: **" ارجِـع إِلَيهما فَأَضحِكْهما كَما أَبكَيتهما"** [2]

1- تفسير ابن كثير (٤٦/٣) باختصار.

2- النسائي (٤٠٩٣) وأبو داوود (٢١٦٦) وابن ماجه (٢٧٧٢)، وصححه الـشيخ الألبـاني فـي صحيح ابن ماجه (٢٧٨٢) .

(٣) أن يتبرأ منهما أو يتكبر عليهما :

وذلك لقوله ﷺ :"**ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناس أجمعين، لا يقبلُ الله منه يوم القيامةِ صرفًا ولا عدلًا**" [1]

والوالد يشمل الـأب والأم وإن عليا .

(٤) أن يشتمهما أو يتسبب في **شتمهما أو لعنهما :**

فعن عبدِاللهِ بنِ عمرٍو (رضِي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رسـولُ ﷺ **:"إن مـن أكبر الكبائر أنْ يلعن الرجلُ والديه**" قِيلَ: يا رسولَ اللهِ وكَيف يلْعـن الرجـلُ والديهِ؟ قَالَ: "**يسب الرجلُ أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه** "[٢]

(٥) النظر المشعر بالغضب:

فعن عروة ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ قال: إن أغضباك فلا تنظر إليهما شذراً؛ فإن أول ما يعرف من غضب المرء شـدة نظره إلى من غضب عليه.

وعن الحسن البصري (رحمه الله تعالى) قيل له: إلى ما ينتهي العقوق ؟

قال: أن يحرمهما ويهجرهما، ويحد النظر إليهما.

وعن عروة بن الزبير ﷺ قال: ما بر والده من شد الطرف إليه.

1- البخاري (٣٩٨٢) ومسلم (٢٤٣٣)

2- البخاري (٥٥١٦)

(٦) الأمر عليهما:

كمن يأمر والدته بكنس المنزل أو غسل الثياب أو إعداد الطعام، فهذا العمل لا يليق خصوصاً إذا كانت الأم عاجزة أو كبيرة أو مريضة .

أما إذا قامت الأم بذلك بطوعها وبرغبة منها، وهي نشطة غير عاجزة فـلا بأس في ذلك، مع مراعاة شكرها والدعاء لهما.

(٧) انتقاد الطعام الذي تعده الوالدة:

وهذا العمل فيه محذوران:

أحدهما: عيب الطاعم، وهذا لا يجوز؛ فرسول الله ﷺ ما عاب طعامـاً قـط، إن أعجبه أكل وإلا تركه .

والثاني: أن فيه قلة أدب مع الأم، وتكديرا عليهما .

(٨) ترك مساعدتهما في **عمل المنزل:**

سواء في الترتيب والتنظيم أو في إعداد الطعام أو غير ذلك .

بل إن بعض الأبناء – هداهم الله – يعد ذلك نقـصاً في حقـه وهـضماً لرجولته، وبعض البنات – هداهن الله – ترى أمها تعاني وتكابد العمل داخل المنزل فلا تعينها .

بل إن بعضهن تقضي الأوقات الطويلة في محادثة زميلاتها عبر الهاتف، تاركة أمها تعاني الأمرين.

(٩) الإشاحة بالوجه عنهما إذا تحدثا:

وذلك بترك الإصغاء إليهما أو المبادرة إلى مقاطعتـهما، أو تكذيبـهما أو مجادلتهما والاشتداد في الخصومة والملاحاة معهما – أي : الملاومة.

فكم في هذا العمل من تحقير لشأن الوالدين، وكم فيه من إشعار لهما بقلة قدرهما.

(١٠) قلة الاعتداد برأيهما:

فبعض الناس لا يستشير والديه، ولا يستأذنهما في أي أمر من أموره، سواء في زواجه أو طلاقه أو خروجه من المنزل والسكنى خارجه، أو ذهابه مع زملائـه لمكان معين أو نحو ذلك.

(١١) ترك الاستئذان حال الدخول عليهما:

وهذا مما ينافي الأدب معهما، فربما كانا أو أحدهما في حالة لا يرضي أن يراه أحد عليها.

(١٢) إثارة المشكلات أمامهما:

سواء مع الإخوان أو الزوجة أو الأولاد أو غيرهم .

فبعض الناس لا يطيب له معاتبة أحد من أهل البيت على خطأ ما إلا أمـام والديه، ولا شك أن هذا الصنيع مما يقلقهما، و يقض مضجعهما .

(١٣) ذم الوالدين عند الناس والقدح فيهما وذكر معايبهماوتشويه سمعتهما:

فبعض الناس إذا أخفق في عمل ما – كأن يخفق في دراسته مثلاً – ألقـى بالائمة والتبعة على والديه، ويبدأ يسوغ إخفاقه ويلتمس المعاذير لنفسه بأن والديه

أهملاه، ولم يربياه كما ينبغي فأفسدا عليه حياته، وحطما مستقبله، إلى غير ذلك من ألوان القدح والعيب .

(١٤) إدخال المنكرات للمنزل ومزاولتها أمامهما:

كشرب الدخان أمامهما أو استماع آلات اللهو بحضرتهما، فهذا كله دليل على قلة الحياء معهما.

(١٥) إيثار الزوجة على الوالدين:

فبعض الناس يقدم طاعة زوجته على طاعة والديه، ويؤثرهما عليهما، فلـو طلبت منه أن يطرد والديه لطردهما ولو كانا بلا مأوى.

وترى بعض الأبناء يبالغ في إظهار المودة للزوجة أمام والديه، وتراه في الوقـت نفسه يغلظ على والديه ولا يرعى حقهما.

(١٦) التخلي عنهما وقت الحاجة أو الكبر:

فبعض الأولاد إذا كبر وصار له عمل يتقاضى مقابله مالاً تخلى عن والديه، واشتغل بخاصة نفسه.

(١٧) التعدي عليهما بالضرب:

فقد نهى الله عن أقل كلمة تشعر بالتأفف والضجر من الوالدين، فما بالـك بما هو أعظم من هذا وهو الضرب، فهو من باب أولى في المنع، وهذا يسمى عنـد الأصوليين بالتنبيه بالأدنى على الأعلى .

(١٨) هجرهما وترك برهما ونصحهما إذا كانا متلبسين ببعض المعاصي:

وهذا خلل وخطل، فبر الوالدين واجب ولو كانا كافرين، فكيف إذا كانا مسلمين، وعندهما بعض التقصير ؟!

لكن عليك بالرفق واللين في النصيحة، فما وجد الرفق في شيء إلا زانـه، وما نزع من شيء إلا شانه، وعليك أن لا تنصح على الملأ.

(١٩) البخل والتقتير عليهما:

فمن الناس من يبخل على والديه، ويقتر عليهما في النفقة، وربما اشـتدت حاجتهما إلى المال، ومع ذلك لا يعبأ ولا يبالي بهما .

(٢٠) المنة وتعداد الأيادي على الوالدين:

فمن الناس من قد يبر والديه، ولكنه يفسد ذلـك بـالمن والأذى وتعـداد الأيادي، وذكر ذلك بمناسبة وبدون مناسبة.

(٢١) السرقة من الوالدين:

وهذا الأمر جمع بين أمرين محذورين: السرقة والعقوق، ومن صور السرقة أن يخدع والديه، فيطلب منه أن يوقع على إعطائه كذا وكذا من المال .أو الأرض أو نحو ذلك، وقد يستدين منهما، وهو مبيت النية على ألا يسدد .

(٢٢) الأنين وإظهار التوجع أمامهما:

وهذا الأمر من أدس صور العقوق، ذلك أن الوالدين – وخصوصاً الأم – يقلقان لمصاب الولد، ويتألمان لألمه، بل ربما يتألمان أكثر منه.

(٢٣) التغرب عن الوالدين دون إذنهما، ودون الحاجة إلى ذلك:

بعض الأبناء لا يدرك أثر بعده عن والديه؛ فتراه يسعى للغربة والبعد عـن الوالدين دون أن يستأذنهما، ودون أن يحتاج إلى الغربة؛ فربما ترك البلد الذي يقطن فيه والداه دون سبب، وربما تغرب للدراسة في بلد آخر مع أن تلك الدراسة ممكنة في البلد الذي يسكن فيه والداه، إلى غير ذلك من الأسباب التي لا تسوغ غربته.

ما علم أن اغترابه عن والديه يسبب حسرتهما، وقلقهما عليه، وما علم أنه ربما مات والداه أو أحدهما وهو بعيد عنهما باختياره؛ فيخسر بذلك برهما، والقيام عليهما.

أما إذا احتاج الابن إلى الغربة، واستأذن والديه فيها_فلا حرج عليه.

(٢٤) تمني زوالهما:

بعض الأولاد يتمنى زوال والديه؛ ليرثهما إن كانا غنيين، أو يتخلص منهما إن كانا مريضين أو فقيرين، أو لينجو من مراقبتهما ووقوفهما في وجهـه؛ كـي يتمادى في غيه وجهله.

(٢٥) المكث طويلاً خارج المنزل:

وهذا مما يقلق الوالدين ويزعجهما على الولد، ثم إنهما قد يحتاجان للخدمة، فإذا خرج الولد خارج المنزل لم يجدا من يقوم على خدمتهما.

(٢٦) الإثقال عليهما بكثرة الطلبات:

من الناس من يثقل على والديه بكثرة طلباته، مع أن الوالدين قد يكونـان قليلي ذات اليد، ومع ذلك ترى الولد يلح عليهما بشراء سيارة له، وبأن يزوجـاه،

ويوفرا له مسكناً جديداً، أو بأن يطلب منهما مالاً كثيراً ؛ كي يـسايرزمـلاءه وأترابه.

(٢٧) التأفف، والتضجر من أوامرهما:

هذا مما أدبنا الله عز وجل بتركه؛ فكم من الناس من إذا أمر عليـه والـداه صدر كلامه بكلمة (أف) ولو كان سيطيعهما، قال تعالى: ﴿لا تقُلْ لهمـا أُف﴾ (الإسراء:٢٣).

(٢٨) العبوس وتقطيب الجبين أمامهما [1]:

فبعض الناس تجده في المجالس بشوشاً، مبتسماً ، حسن الخلق، ينتقي من الكلام أطايبه، ومن الحديث أعذبه؛ فإذا ما دخل المنزل، وجلس بحضرة الوالدين انقلب ليثاً هصوراً لا يلوي على شيء، فتبدلت حاله، وذهبت وداعتـه، وتولـت سماحتـه، وحلت غلظته وفظاظته وبذاءته، يصدق على هذا قول القائل:

من الناس من يصل الأبعدين ويشقى به الأقرب الأقرب

هذه بعض المظاهر والصور لعقوق الوالدين، ذلك العمل القبيح، والمـسلك الشائن، الذي لا يليق بأولي الألباب، ولا يصدر من أهل التقى والصلاح والرشاد.

ما أبعد الخير عن عاق والديه، وما أقرب العقوبة منه، وما أسرع الشر إليه.

هذا أمر مشاهد محسوس، يعرفه كثير من الناس، ويـرون بـأم أعينـهم، ويسمعون قصصاً متواترة لأناس خذلوا وعوقبوا؛ بسبب عقوقهم لوالديهم[2].

---

1 _ من المظهر رقم (٥) إلى نهاية المظاهر منقول من كتيب عقوق الوالدين للشيخ: محمد الحمـد صـ ـ (٩- ١٩)، مع تصرف بسيط، طبعة: وزارة الشئون الإسلامية بالسعودية.

2 - السابق صـ ٢٠

واعلم أخي الحبيب :

أن هذه ليست كل صور العقوق وإن كانت أغلبها، فهناك أشياء لم نجمعها في هذا البحث، لكن العقوق يشمل كل شيء يؤذي الوالدين سواء صغر أو كبر .

حقوق الآباء على الأبناء:

إن للوالدين حقوقاً وواجبات، وإذا كانت النفوس السوية مجبولة على حب من أحسن إليها؛ فإن من شرائع الدين وسمات المروءة وضرورات العقل أن يقابـل الإحسان بالإحسان ؛ قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الرحمن)

فمن هذه الحقوق (مظاهر البر) [1] **:**

(١) محبتهما وتوقيرهما على من سواهما:

جاء في الأدب المفرد أن أبا هريرة أبصر رجلين. فقال لأحدهما: ما هـذا منك ؟ فقال: أبي. فقال: "لا تسمه باسمه، ولا تمش أمامه، ولا تجلس قبله". [2]

(٢) النفقة عليهما:

إذا كانا محتاجين وعند الولد ما يزيد على حاجته؛ فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أبي اجتاح مالي فقال:" **أنـت ومالك لأبيك**" وقال رسول الله ﷺ:"**إن أولادكم من أطيب كسبكم، فكلوا من أموالهم**" [3]

---

1 - من المظهر رقم (٤) إلى النهاية مأخوذ من المصدر السابق صـ (٣١- ٣٧).

2 _ صحيح الأدب المفرد للشيخ الألباني (١٨)

3 _ صححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (٣٣٥٤) .

قال شيخ الإسلام في مجموع **الفتاوى**: على الولد الموسر أن ينفق على أبيه وزوجة أبيه وعلى إخوته الصغار، وإن لم يفعل ذلك كان عاقاً لأبيه قاطعاً لرحمه مستحقاً لعقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة[1]

قلت: ولكن هذا مشروط بوجود زيادة من المال عند الولد، وأن لا يكون الوالد مسرفاً أو يتناول المحرمات.

(٣) خفض الصوت وغض الطرف أمامهما:

وكذلك لين القلب إذا ثار أبوك وغضب، فعليك أن تنظر إليهما نظرة المحب الرحيم، الخجل المتواضع .

(٤) **طاعتهما واجتناب معصيتهما:**

فيجب على المسلم طاعة والديه واجتناب معصيتهما، وأن يقدم طاعتهما على طاعة كل أحد من البشر ما لم يأمرا بمعصية الله ورسوله، إلا الزوجة؛ فإنها تقدم طاعة زوجها على طاعة والديها.

(٥) الإحسان إليهما:بالقول، والفعل، وفي وجوه الإحسان كافة :

وما أجمل أن تقول _ ولا سيما في المناسبات السعيدة كالأعياد الشرعية مثلاً:

يا والدي جزاك الله خيراً، ويا والدتي أطال الله في عمرك، لقد ربيتمونا وتعبتم علينا، وها نحن كبرنا، ولكننا نعتبر أنفسنا أمامكم أطفالاً صغاراً، نتشرف

1- الفتاوى (٣٤ / ١٠١) .

بخدمتكم، ونفتخر بأمركم لنا وتوجيهاتكم .. انظر بعدها إلى البشر والـسرور في وجهيهما، بل إلى دموع الفرح تنهال من أعينهما.

(٦) خفض الجناح: وذلك بالتذلل لهما، والتواضع، والتطامن.

(٧) البعد عن زجرهما: وذلك بلين الخطاب، والتلطف بالكلام، والحذر كل الحذر من نهرهما، ورفع الصوت عليهما.

(٨) الإصغاء إليهما: وذلك بالإقبال عليهما بالوجه إذا تحدثا، وترك مقاطعتهما أو منازعتهما الحديث، والحذر كل الحذر من تكذيبهما، أو رد حديثهما.

(٩) الفرح بأوامرهما، وترك التضجر والتأفف منهما:كما قال عز وجـل: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

(١٠) التطلق لهما: وذلك بمقابلتهما بالبشر والترحاب، بعيـدا عـن العبـوس، وتقطيب الجبين.

(١١) التودد لهما، والتحبب إليهما: ومن ذلك مبادأتهمـا بالـسلام، وتقبيـل أيديهما، ورؤوسهما، والتوسيع لهما في المجلس، وألا يمـد يـده إلى الطعـام قبلهما، وأن يمشي خلفهما في النهار، وأمامهما في الليل، خصوصا إذا كـان الطريق مظلماً أو وعِراً، أما إذا كان الطريق واضحاً سالكاً فلا بأس أن يمشي خلفهما.

(١٢) الجلوس أمامهما بأدب واحترام: وذلك بتعديل الجِلْـسة، والبعـد عمـا يشعرهما بإهانتهما من قريب أو بعيد، كمد الرجل، أو القهقهة بحضرتهما، أو الاضطجاع، أو التعري، أو مزاولة المنكرات أمامهما، أو غير ذلك مما ينـافي كمال الأدب معهما.

(١٣) تجنب المنة في الخدمة أو العطية: فالمنة تهدم الصنيعة، وهي مـن مـساوئ الأخلاق، ويزداد قبحها إذا كانت في حق الوالدين.

فعلى الولد أن يقدم لوالديه ما يستطيع، وأن يعترف بالتقصير، ويعتذر عـن عـدم استطاعته أن يوفي والديه حقهما.

(١٤) تقديم حق الأم: فمما ينبغي مراعاته أيضا تقديم بر الأم ، والعطف عليهـا، والإحسان لها على بر الأب، والعطف عليه، والإحسان إليه، وذلك لما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قَالَ: جاءَ رجلٌ إِلَى رسول اللـهِ ﷺ فَقَالَ يا رسولَ اللهِ من أحق الناسِ بحسنِ صحابتِي؟ قَالَ: **أمك.** قَـالَ ثُـم من؟ **قَالَ: ثُم أمك.** قَالَ ثُم من قَالَ: **ثُم أمك.** قَالَ ثُم من؟ قَالَ: **ثُم أبوك**"[1].

قال ابن بطال عند شرحه لهذا الحديث: مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، قال: وذلك لصعوبة الحمل، ثم الوضع، ثم الرضاع، فهذا تنفرد بـه الأم وتشقى به، ثم تشارك الأب في التربية [2].

قد يقال: الأم تقدم وتفضل بالبر والإحسان والعطـف؛ والأب يقـدم في الطاعة؛ لأن الأب رب المنزل، وقائد السفينة.

وعن أبي موسى الأشعري قال : شهد ابن عمر (رضي الله عنهما) رجـلاً يمانيا يطوف بالبيت، وقد حمل أمه على ظهره وهو يقول:

إني لها بعيرها المذلل ... إن أُذعرت ركابها لم أذعر

1- البخاري (٥٥١٤)، ومسلم (٤٦٢١).

2- الفتح (٤٠٢/١٠) .

ثم قال: يا ابن عمر أتراني جزيتها ؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة .

وصدق من قال:

لأمك حق لو علمت كبيـ ـر
كثيرك هـذا لديه يسيـ ـ ـر
فكم ليلةٍ باتت بطفلك تشتكـي
لها من جواها أنةٌ وزفيـ ـ ـر
وفي الوضع لو تدري عليك مشقة
فكم غصص منها الفؤاد يطيـر
وكم مرةٍ جاعت وأعطتك قوتها
حنواً وإشفاقاً وأنت صغيـ ـر
فآه لذي عقل ويتبع الهـ ـوى
وواه لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها
فأنت لما تدعو إليه فقيـ ـ ـر

(١٥) مساعدتهما في **الأعمال**: فلا يليق بالولد أن يرى والديه يعملان ، وهو ينظر إليهما دون مساعدة لهما.

(١٦) البعد عن إزعاجهما: سواء إذا كانا نائمين، أو إزعاجهما بالجلبـة ورفـع الصوت، أو بالأخبار المحزنة، أو غير ذلك من ألوان الإزعاج.

(١٧) تجنب الشجار وإثارة الجدل أمامهما: وذلك بالحرص على حل المشكلات مع الأخوة وأهل البيت عموما بعيدا عن أعينهما.

(١٨) تلبية ندائهما بسرعة: سواء كان الإنسان مشغولاً أم غير مشغول؛ فـبعض الناس إذا ناداه أحد والديه وكان مشغولاً تظاهر بأنه لم يسمع الـصوت، وإن كان فارغاً أجابهما.

أصم عن الأمر الذي لا أريده وأسمع خلق الله حين أريد

فاللائق بالولد أن يجيب والديه حال سماعه النداء.

(١٩) تعويد الأولاد على البر: وذلك بأن يكون المرء قدوة لهم، وأن يسعى قـدر المستطاع لتوطيد العلاقة بين أولاده وبين والديه.

(٢٠) إصلاح ذات البين إذا فسدت بين الوالدين: فمما يجدر بالأولاد أن يقوموا به أن يصلحوا ذات البين إذا فسدت بين الوالدين، وأن يحرصوا على تقريـب وجهات النظر بينهما إذا اختلفا.

(٢١) الاستئذان حال الدخول عليهما: فربما كانا أو أحدهما على حالة لا يرضى أن يراه أحد وهو عليها.

(٢٢) تذكيرهما بالله دائما: وذلك بتعليمهما ما يجهلانه من أمور الدين، وأمرهمـا بالمعروف، ونهيهما عن المنكر إذا كان عليهما بعض مظاهر الفسق والمعـصية، مع مراعاة أن يكون ذلك بمنتهى اللطف والإشفاق والشفافية، والصبر عليهما إذا لم يقبلا.

(٢٣) الاستئذان منهما، والاستنارة برأيهما: سواء في الذهاب مـع الأصـحاب للبرية، أو في السفر خارج البلد للدراسة ونحوها، أو الـذهاب للجهـاد، أو الخروج من المنزل والسكنى خارجه، فإن أذنا وإلا أقصر وتـرك مـا تريـد، خصوصا إذا كان رأيهما له وجه، أو كان صادرا عن علم وإدراك.

(٢٤) المحافظة على سمعتهما: وذلك بمخالطة الأخيار، والبعد عن الأشرار، وبمجانبة أماكن الشبه، ومواطن الريبة.

(٢٥) البعد عن لومهما وتقريعهما: وذلك إذا صدر منهما عمل لا يرضي الولد. كتقصيرهما في التربية، وكتذكيرهما بأمور لا يحبان سماعها، مما قد بدر منـهما فيما مضى.

(٢٦) العمل على ما يسرهما وإن لم يأمرا به: من رعاية للإخوة، أو صلة للأرحام، أو إصلاحات في المنزل، أو المزرعة، أو مبادرة بالهدية، أو نحو ذلك مما يسرهما، ويدخل الفرح على قلبيهما.

(٢٧) فهم طبيعتهما ومعاملتهما بمقتضى ذلك: فإذا كانا أو أحدهما غـضوباً، أو فظّاً غليظاً، أو كان متصفاً بأي صفة لا ترتضى_كان جديراً بالولد أن يتفهم تلك الطبيعة في والديه، وأن يعاملهما كما ينبغي.

(٢٨) كثرة الدعاء والاستغفار لهما في حياتهما: قـال الله تعـالى: ﴿وقُـلْ رب ارحمهما كما ربيانِي صغِيراً﴾ (الإسراء:٢٤)

وقال تعالى: ﴿رب اغْفِرلِي ولِوالِدي ولِمن دخلَ بيتِي مؤمِناً ولِلْمـؤمِنِين والْمؤمِناتِ﴾ (نوح:٢٨).

(٢٩) برهما بعد موتهما: فمما يدل على عظم حق الوالدين، وسـعة رحمـة رب العالمين أنْ كان بر الوالدين لا ينقطع حتى بعد الممات؛ فقد يقصر أحد مـن الناس في حق والديه وهما أحياء، فإذا ماتا عض يده، وقرع سنه؛ ندماً علـى

تفريطه وتضييعه لحق الوالدين، وتمنى أن يرجعا للدنيا؛ ليعمل معهما صالحاً غير الذي عمل.

ومن هنا يستطيع المسلم أن يستدرك ما قد فات، فيبر والديه وهمـا أمـوات، وذلك بأمور منها:

أ- أن يكون الولد صالحًا في نفسه، وذلك للحديث الآتي ذكره ،

ب-كثرة الدعاء والاستغفار لهما، لما ورد في صحيح مسلم عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **« إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».**[1]

ج- صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما.

د- إنفاذ عهدهما.

هـ - التصدق عنهما

ثمرات البر:

إن للبر ثمرات عظيمة وفوائد كثيرة، من ذلك ما يلي:

(١) تفريج الكربات وكشف الهموم:

كما في الصحيحن عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" **بينما ثَلَاثَةُ نفَرٍ مِمن كَانَ قَبلكُم يمشونَ إِذْ أصابهم مطَر، فَأووا إِلى غَارٍ فَانطَبق علَيهم فَقَالَ بعضهم لِبعض: إِنه واللهِ يا هؤلَاءِ لَا ينجِيكُم إِلا الصدق، فَليدع كُل رجلٍ مِنكُم بِما يعلَم أنه قَد صدق فِيهِ.**

1- مسلم (٣٤١٠) .

فَقَالَ واحِد مِنهم: اللهم إِنْ كُنت تعلم أنه كَانَ لِي أَجِير عمِلَ لِي علـى فَرق مِن أرز فَذَهب وتركه، وأني عمدت إِلى ذَلِك الْفَرق فَزرعته فَصار مِن أمرِهِ أني اشتريت مِنه بقَرا، وأنه أتانِي يطْلُب أجره فَقُلْت لَه: اعمِد إِلى تِلْك الْبقَـرِ فَسقْها فَقَالَ لِي: إِنما لِي عِندك فَرق مِن أرز فَقُلْت لَه: اعمِد إِلى تِلْك الْبقَـرِ؛ فَإِنها مِن ذَلِك الْفَرق فَساقَها، فَإِنْ كُنت تعلم أني فَعلْت ذَلِك مِن خشيتك فَفَرج عنا، فَانساحت عنهم الصخرةُ .

فَقَالَ الْآخر: اللهم إِنْ كُنت تعلم أنه كَانَ لِي أبوان شـيخان كَـبِيران فَكُنت آتِيهما كُل لَيلَةٍ بِلَبن غَنمٍ لِي فَأبطأت علَيهما لَيلَةً، فَجِئْت وقَـد رقَـدا، وأهلِي وعِيالِي يتضاغَونَ مِن الْجوعِ، فَكُنت لَا أسقِيهم حتى يـشرب أبـواي فَكَرِهت أنْ أوقِظهما وكَرِهت أنْ أدعهما فَيستكِنا لِشربتِهما، فَلَم أزلْ أنتظِـر حتى طَلَع الْفَجر، فَإِنْ كُنت تعلم أني فَعلْت ذَلِك مِن خـشيتك فَفَـرج عنـا، فَانساحت عنهم الصخرةُ حتى نظَروا إِلى السماءِ .

فَقَالَ الْآخر: اللهم إِنْ كُنت تعلم أنه كَانَ لِي ابنةُ عم مِن أحب النـاس إِلَي، وأني راودتها عن نفْسِها فَأبت إِلا أنْ آتِيها بِمِائَةِ دِينارٍ فَطَلَبتها حتى قَدرت، فَأتيتها بِها فَدفَعتها إِلَيها، فَأمكَنتِني مِن نفْسِها، فَلَما قَعدت بين رِجلَيها فَقَالَـتِ: اتق الله ولَا تفُض الْخاتم إِلا بِحقِهِ. فَقُمت وتركْت الْمِائَةَ دِينارٍ، فَإِنْ كُنت تعلم أني فَعلْت ذَلِك مِن خشيتك فَفَرج عنا ،فَفَرج الله عنهم فَخرجوا" (١)

1 _ البخاري (٣٢٠٦) ومسلم(٤٩٢٦)

(٢) دخول الجنة:

فعن أَبِي الدرداءِ ﷺ أن رجلًا أتاه فَقَالَ: إِن لِي امرأةً، وإن أُمـي تـأمرني بِطَلَاقِها. قَالَ أبو الدرداءِ سمِعت رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ:"**الْوالِد أوسطُ أبوابِ الْجنةِ، فَإِنْ شِئْت فَأَضِع ذَلِك الْباب أَو احفَظْه** " [1] وسيأتي عن قريب حديث النعمان بن حارثة ﷺ حيث كان أبر الناس بأمه، فدخل بذلك الجنة.

قلت: ولا يؤخذ من الحديث أن الإنسان يطلق امرأته لو أمرته أمه بـذلك، فقد تكون امرأته أكثر صلاحا من أمه، إنما الشاهد فقط هو أنهما- أي: الولـدان- أوسط أبواب الجنة.

(٣) الزيادة في الرزق:

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**من أحب أن يبسط لـه في رزقه، وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه**"[٢]

قصة واقعية:

أب كبير في السنّ .. كان يعاني من آلآمٍ تعصره عصراً في المسالك البولية؛ إذ كان يشكو من وجود حصاة سدت مجرى البول حتى جعلته يتلوى مـن الألم، ومن جرب عرف، فهذا بشهادة الأطباء من أقسى الآلآم التي يشعر بها من ابتلي بها .. حتى إذا اشتد عليه الألم في إحدى الليالي .. طلب من ابنه أن ينقله إلى المستشفى في مدينة الخبر _ وكانوا يسكنون في منطقة رأس تنورة بالمنطقـة الـشرقية مـن المملكة، أي ما يقارب من ٦٠ كيلومتراً .

1- الترمذي(١٨٢٢)وابن ماجه(٢٠٨٠)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٩١٤).

2- البخاري (٢٢١٥) ومسلم (٧١٢٥)

قال: فأركبه الابن سيارته ثم انطلق في منتصف الليل .. فلما انتصف الطريق اشتد أنين الأب، فكان يطلب من ابنه أن يعطيه سكيناً؛ كي يشق بها أسفل بطنـه ليخرج البول ليستريح، فما كان من هذا الولد إلا أن وقف سيارته بجانب الطريق، ثم نزل وفتح باب السيارة من جهة أبيه .. ثم كشف عن ثياب أبيه، والأب لا يعلم ماذا يريد أن يفعل به ابنه ماذا تتوقعون ؟! لقد أخذ الولد (يمص) (ذكر) [1] أبيه حتى خرجت تلك الحصاة من الحالب . وخرج معها الدم والبول.

فلما رأى الوالد ما صنع به ابنه رفع يديه إلى السماء: وقال بصوت متهدج باكٍ ـ ودموعه تتقافز من عينيه : أسأل الله يا ولدي أن يرزقك رزقاً لا ينقطع! .

قال محدثي: فوالله إن هذا الابن .. من أغنى الناس لدينا اليوم [2] .

نماذج من بر الأنبياء والسلف الصالح:

(١) هذا نبي الله **نوح عليه السلام** يذكر لنا ربنا عز وجل نموذجاً من بره بوالديه؛ حيث كان يدعو ويستغفر لهما كما في قوله تعـالى عنـه : ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ (نوح:٢٨).

(٢) وهذا إمام الموحدين إبراهيم الخليل عليه السلام يخاطب أباه بلطف شـفافٍ، وإشفاقٍ بالغ، وحرص أكيد؛ رغبة في هدايته ونجاته، وخوفـاً مـن غوايتـه وهلاكه فيقول كما أخبر الله عنه﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا

1- قال الشيخ رواي هذه القصة: أعتذر هنا عن هذا اللفظ، لكنه هو المعبر هنا عن صميم الواقعـة، وقد رويته بالنص عمن حدثني.

2- انظر القصة في كتاب تهميش الوالدين في حياتنا، تأليف: موسى الزهراني .

﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾
يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾
يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ
أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ (مريم:٤١_٤٥).

لقد خاطب والده بتلك الكلمات المؤثرة، والعبارات المـشفقة، الـتي تـصل إلى الأعماق.

ولولا أنها وجدت قلباً قاسياً عاسياً أغلف أسود لأثرت به، وكانت سبباً في هدايته، ونجاته.

(٣) وهذا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ضرب أروع أمثلة الـبر في تـاريخ البشرية؛ وذلك عندما قال لـه أبـوه: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ (الصافات:١٠٢).

فماذا كان رد ذلك الولد الصالح ؟ هل تباطأ أو تكاسل، أو تردد وتثاقل ؟ لا، بل قال كماأخبر الله تعالى عنه: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الصافات:١٠٢).

وقد ورد أن إبراهيمعليه السلام لما تيقن مما رأى في منامه قال لابنه: يا بـني خذ الحبل والمدية، وانطلق إلى هذا الشعب نحتطب، فلما خلا به في شعب -ثبير - أخبره بما أُمِر به، فلما أراد ذبحه قال له: يا أبت اشدد رباطي؛ حتى لا أضـطرب، واكفف عني ثيابك؛ حتى لا يصيبها الدم فتراه أمي، واشحذ شفرتك، وأسـرع في السكين على حلقي؛ ليكون أهون علي، وإذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني.

قال إبراهيم: نعم العون أنت يا بني، ثم أقبل عليه وهما يبكيان، ثم وضـع السكين على حلقه، فلم تحز، فشحذها مرتين أو ثلاثاً بالحجر فلم تقطـع، فقـال الابن عند ذلك: يا أبتِ كُبني على وجهي؛ فإنك إن نظرت إلى وجهي رحمـتني، وأدركتك رقةٌ تحول بينك وبين أمر الله تعالى وأنا لا أنظر إلى الشفرة فأجزع، ففعل ذلك إبراهيم عليه السلام ووضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي: ﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾ (الصافات:١٠٤، ١٠٥). [1]

(٤) وهـذا عيسـى بـن مريـم عليه وعلى أمه السلام يأتيه الثنـاء العطـر، والتبجيل العظيم من ربه وهو ما يزال في المهد يتكلم بأنه بار بأمه، ويقرن هذا بعبوديته لربه عز وجل قال سبحانه وتعـالى عنـه :﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢﴾ (مريم:٣٢).

(٥) بر النبي محمد بأمه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال:" **استأذنت ربي** في **أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته** في **أن أزور قبرها فـأذن لي، فزوروا القبور؛ فإنها تذكر الموت**" [2]

بر الصحابة:

وإذا أنعمنا النظر في سيرة السلف الصالح وجدنا صفحات مشرقة تدل على شدة اهتمامهم ببر الوالدين فمن ذلك ما يلي:

1- دروس رمضان للشيخ: محمد الحمد، وانظر تفصيل القصة في خطبة تأملات في الحج وقـصة الذبيح من هذا الكتاب .

2- صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٤٢) .

(١) عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ: **"دخلـت الجنة فسمعت فيها قراءة، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة ابـن النعمـان، كذلكم البر، كذلكم البر، وكان أبر الناس بأمه"** [١]

(٢) وعن أبي عبد الرحمن الحنفي قال: رأى كهمس بن الحسن عقربـاً في البيـت فأراد أن يقتلها، أو يأخذها، فسبقته، فدخلت في جحر، فأدخل يده في الجحر ليأخذها، فجعلت تضر به، فقيل له: ما أردت إلى هذا ؟

قال: خفت أن تخرج من الجحر، فتجيء إلى أمي، فتلدغَها. [٢]

(٣) وهذا أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو المـسمى بزين العابدين، وكان من سادات التابعين كان كثير البر بأمه، حتى قيل لـه: إنك من أبر الناس بأمك، ولا تؤكل معها في صحفة واحدة ، فقال: أخاف أن تسبق يدي يدها إلى ما قد سبقت عينها إليه، فأكون قد عققتها[٣]

(٤) قال هشام بن حسان: حدثتني حفصة بنت سيرين، قالت: كانت والدة محمد بن سيرين حجازية، وكان يعجبها الصبغ، وكان محمد إذا اشترى لهـا ثوبـاً اشترى ألين ما يجد، فإذا كان عيد صبغ لها ثياباً، وما رأيته رافعاً صوته عليها، كان إذا كلمها كالمصغي [٤] .

1- السلسلة الصحيحة (٩١٣) .

2- السير(٣١٧/٦).

3- عيون الأخبار، باب: القرابات، وانظر: عقوق الوالدين للشيخ الحمد. .

4- السير (٦١٩/٤).

(٥) بر أبي هريرة:

عن أبي هريرة قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يومـا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره فأتيت رسول الله صلى الله عليه و سـلم وأنـا أبكي قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقـال رسـول الله ﷺ:" **اللهم اهد أم أبي هريرة**" فخرجت مستبشرا بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عـن خمارهـا، ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله، وأشـهد أن محمـدا عبده ورسوله قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح قـال: قلت: يا رسول الله أبشر؛ قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة ، فحمـد الله وأثنى عليه وقال خيرا. [١]

قال سعيد بن المسيب : وبلغنا أن أبا هريرة رضي الله عنه لم يكن يحج حتى ماتت أمه لصحبتها[٢].

ومن بره بأمه أيضاً ما أخرجه ابن سعد بسند صحيح عنه أن النبي ﷺ أعطاه تمرتين ، قال أبو هريرة: فأكلت تمرة وجعلت تمرة في حِجري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة لم رفعت هذه التمرة ؟ فقلت : لأمي ، فقال : كلها فإنا سنعطيك لها تمرتين ، فأكلتها وأعطاني لها تمرتين[٣].

1- مسلم(٢٤٩١) .

2- مسلم(٣١٤٤).

3- تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٢٢/٦٧).

وعن أبي مرة مولى أم هانئ بنت أبي طالب: " أنه ركب مـع أبي هريـرة ﷺ إلى أرضه بـ (العقيق) فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته:

عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أماه.

تقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

يقول: رحمك الله كما ربيتني صغيرا.

فتقول: يا بني ! وأنت فجزاك الله خيراً ورضي عنك كما بررتني كبيرا [1]

وأخيراً : حقوق يقابلها واجبات:

إن للوالدين حقوقاً على الأبناء وإن للأبناء حقوقاً على الوالدين، فهناك من الوالدين من يقع في عقوق ولده قبل أن يعقه ولده .

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال : يا أمير المؤمنين أشـكو إليـك عقوق ولدى ، فقال : ائتنى به ، فجاء الولد إلى عمر ﷺ ، فقال عمر: لم تعق أباك ؟ فقال الولد: يا أمير المؤمنين ما هو حقى على والدى ؟ فقال عمر: حقك عليه أن يحسن اختيار أمك، وأن يحسن اختيار اسمك، وأن يعلمك القرآن .

فقال الولد: والله ما فعل أبى شىء من ذلك، فالتفت عمر إلى الوالد وقال: انطلـق لقد عققت ولدك قبل أن يعقك.

1- نضرة النعيم (٧٧٩/٣)